كلية العلـــوم
قـســـــــم علوم الحياه

عنوان المحاضرة

المحاضرة 7: الجرائم النفسية وآليات الترهيب

المادة : جرائم نظام البعث

المرحلة : الثانية

اسم الاستاذ: م.م رائد جواد كاظم

مقدمة المحاضرة

لم يكن وصول نظام البعث إلى السلطة في العراق عام 1968 مجرد تغيير سياسي اعتيادي، بل كان ضمن خطة مدروسة تهدف إلى إحداث تغييرات سيكولوجية عميقة في بنية الإنسان العراقي والمجتمع. اعتمد النظام

"الجريمة النفسية" كأداة أساسية للسيطرة، من خلال افتعال ظواهر تهدف لتمزيق النسيج الروحي والأخلاقي، وتحويل المواطن من عنصر فاعل إلى كائن مرعوب ومستسلم [60، 70].

أولاً: آليات الجرائم النفسية (الترهيب الممنهج)

مارس النظام البعثي عدة آليات لزعزعة الاستقرار النفسي للمواطنين، ومن أبرزها:

1. آلية احتكار القوت والتلاعب المعيشي:

- بمجرد تسلم السلطة، بدأ النظام بافتعال أزمات غذائية مفاجئة عبر إخفاء المواد الأساسية كالحنطة والأرز والحليب من السوق.
- رافق ذلك جلبة إعلامية مدروسة لنشر القلق، مثل قصة "الحنطة المسمومة"، وفقدان مواد استهلاكية بسيطة بشكل دوري لإبقاء المواطن في حالة ركض دائم وراء لقمة العيش.

2. آلية الرعب والتخويف (الأمن والمخابرات):

- التقارير الكيدية: تحول المجتمع إلى سجن كبير عبر زرع الوكلاء لكتابة تقارير ضد الكفاءات والشخصيات المستقلة لتكميم الأفواه.
- الإعدامات العلنية: تم تنفيذ أحكام الإعدام بتهم كيدية في الساحات العامة لترسيخ الرعب في النفوس.
- الظواهر المرعبة المفتعلة: افتعل النظام ظواهر إجرامية مرعبة مثل عصابات (أبو طبر) و(الكف الأسود) لبث الذعر في البيوت والسيطرة على حركة المجتمع.
- تجنيد "الفتوات": تم تجنيد أرباب السوابق ومن يُطلق عليهم شعبياً (الأشقياء) للعمل ضمن الأجهزة القمعية ضد المواطنين.

3. آلية الإفقار والتجويع المتعمد:

- مصادرة الأموال: استهدف النظام كبار التجار والعمال وصادر أموالهم لإضعاف الطبقة الاقتصادية المستقلة.
- ضرب القوة الشرائية: تم خفض رواتب الموظفين (بإثارة الحروب والحصار) حتى وصل راتب المعلم إلى أقل من دولار واحد، في حين كانت رواتب أفراد الأجهزة القمعية ومخصصاتهم تضاعف ذلك بكثير [63، 64].
- الشركات الوهمية: أدارت المخابرات شركات وهمية (مثل سامكو) لسرقة مدخرات المواطنين بحجة الاستثمار ثم تهريب الأموال خارج العراق.

ثانياً: آليات الضغط والعقاب النفسي القاهر

تجاوز النظام حدود التعذيب الجسدي إلى تدمير الكرامة الشخصية عبر:

1. انتهاك العرض لانتزاع الاعترافات: كان المعتقلون في السجون يُجبرون على مشاهدة اغتصاب زوجاتهم أو بناتهم أو أمهاتهم كوسيلة قاهرة لانتزاع الاعترافات أو الإذلال الأخلاقي [65، 98].

2. اعتقال الوالدين: كان النظام يعتقل الوالدين للضغط على الأبناء المعارضين لإجبارهم على تسليم أنفسهم أو الانخراط في التنظيمات العسكرية.

3. سياسة "الفرهود" القسري: تعرضت الممتلكات الشخصية والبيوت والمحال التجارية للنهب المنظم والمصادرة قسراً لمن لا يوالون النظام [65، 66].

ثالثاً: الإفقار العلمي والثقافي (التجهيل المتعمد)

مارس النظام عملية تفريغ علمي هي الأكبر في تاريخ العراق المعاصر:

- **تصفية وتهجير علماء الحوزة العلمية في النجف والكفاءات الأكاديمية في الجامعات.**
- **حظر الكتب الفكرية والدينية ومنع تداولها ومصادرة المكتبات الخاصة.**
- **توجيه الأقلام للكتابة فقط فيما يسمى "فكر الضرورة القائد"، وفرض فلسفة تربوية تمجد شخص رأس النظام فقط [68، 71].**

رابعاً: آثار الجرائم النفسية على المجتمع

أدت هذه السياسات إلى كوارث اجتماعية ونفسية طويلة الأمد، منها:

1. **تدمير الهوية والقيم: ضرب القيم السامية والأخلاق السائدة واستبدالها بـ "بذور الفساد" الإداري والمالي [68، 70].**
2. **انهيار النظام التربوي: أُجبر المعلمون وأساتذة الجامعات على العمل كباعة متجولين لتوفير لقمة العيش، مما أدى لتدني المستوى العلمي وتفشي الجهل.**
3. **تفتيت النسيج الاجتماعي: تشجيع النزعات الطائفية والعشائرية والمناطقية لإضعاف الانتماء الوطني [69، 70].**
4. **زرع العجز النفسي: إيصال المواطن العراقي إلى حالة "الاستسلام النفسي" وفقدان القدرة على المبادرة عبر ترسيخ أحاسيس الضعف.**
5. **تقبل التدخل الخارجي: تأهيل الشعب نفسياً واجتماعياً لتقبل فكرة التغيير بأي يد خارجية للخلاص من القمع والاستبداد البعثي.**

خلاصة المحاضرة

لم تكن الجرائم النفسية لنظام البعث مجرد آثار جانبية لسياسته، بل كانت رأسمال النظام في البقاء؛ فمن خلال سلب الإنسان كرامته وأمنه النفسي، ضمن النظام تحويل المجتمع إلى كتلة صامتة تخشى حتى التفكير في المعارضة [61، 71]. إن فهم هذه الآليات ضروري لجيل الشباب لتفكيك آثارها النفسية التي لا تزال تطل برأسها في بعض السلوكيات الاجتماعية الحالية